

مقدمة

يفخر التاريخ المصرى عبر عصوره بإمكانات بشرية من الإبداعات المثمرة أضافت للأدب العربى إنجازات هامة وللإنسان المصرى آفاقا لا حدود لها تحلقت به إلى اتجاهات حياتية ممتزجة بالشعور بالحياة التى تدور حوله بما فيها من مباحج ومتاعب خاصة إذا كان المبدع قد نشأ وترعرع بين أوساط المصريين البسطاء والعامّة وعاش عيشتهم وأحس بإحساسهم، وعاش بين الحواري والأزقة والتصق بأهلها ووقف على ملامح حياتهم المصرية الخالصة وما يظللها من بؤس وحرمان، وخالط الناس بجميع طبقاتهم حيث انبعث عن غمار عامة الشعب، وعانى وذاق ما يعانیه أفراد من فقر وحرمان فالتأم شقاؤه بشقاء أمتة فكانت أشعاره تعبيرا حيا عما يدور بخلد الشعب فعمل على رفع مستوى شعبه الاجتماعى وبعث وعيه الوطنى وقد انفرد حافظ بهذه الخاصية بين شعراء عصره فكان من أعلم الناس بمشاكل هذا المجتمع وعيوبه خاصة وأنه عاش بين طين مصر، وأجرى ماء النيل فى دمه كل آلام المصريين وآمالهم ومشاعرهم وسكبت سماء مصر فى روحه روح مصر الخالدة وما تشعر به ، فكان أسلوبه التهكمى فى قصائده يحمل التبكيت والتبكييت معا فأحيانا يستهجن أفعال المصريين ويلهب ظهورهم ويكشف سوءاتهم وفى نفس الوقت يحتضنهم ، ويعانقهم بقلبه وعقله ، وبمشاعره، وفى أحيان أخرى يداعبهم ويشجعهم على ولوج ركب النهضة ويبعث النخوة فى نفوسهم وكانت عباراته سهلة بالنسبة لهم ومعانيها أوضح لأنه كان يحس إحساسا قويا أنه يخاطب الشعب المصرى فى مجموعته، فعبر شعره ذو الأسلوب الكلاسيكى

الحديث عن الأحاسيس الشعبية بطريقة يمكن لرجل الشارع أن يفهمها ، فكان يلقي شعره علنا أمام الناس يوضح فيه مشاكلهم الاجتماعية ويعبر عن رأيه فى أحداث الوطن مؤكدا دعمه للمطالب الوطنية ، كما ساهم حافظ بأرائه فى الصحافة المصرية يتندر على من حوله من الناس الذين يتقبلون كل ما يقوله حافظ قبولا طيبا لأن شخصيته البسيطة التى تأثرت باليتم المبكر كانت هى التى تحرك لسانه وتقود أفعاله، فراح فى مجموع شعره يبكى حظه وحظ أمته ، وكانت آراؤه فى روحها وجوهرها تعبيراً عما يجيش فى صدور أبناء وطنه ، لذلك كان أول شاعر مصرى يعالج مشاكل وطنه بأسلوب شعبى سهل على الناس استيعاب المفاهيم الوطنية الذى كان إدراكها قاصرا على الصفوة ، وعاش يتأمل أوضاع وطنه ويعانى مشاكله فترجم بشعره عما يجول بخاطر شعبه ، فطالما غذى الناس بشعره وهيجهم بأفكاره، وأضحكهم وأبكاهم مما أقلق بال رجال السياسة، ونازله خصومه من الشعراء والأدباء فنال منهم أكثر مما نالوا منه، وكانت دعوتـه ذات تأثير قوى فى نفوس مواطنيه لأنها نابعة من شعور عميق بما يعانىـه الوطن من متاعب وآلام ورغبة فى العودة إلى الإصلاح والنهوض بالمجتمع.

إن حياة حافظ ابراهيم تحتل عصرا كاملا من عصور حياة مصر والمصريين فقد نشأ فى عصر اسماعيل ذلك العصر الذى ازداد فيه التدخل الأجنبى بعد الأزمة المالية التى نتجت عن القروض التى عقدها والتى أدت إلى المراقبة الثنائية لإنجلترا وفرنسا على شئون مصر المالية ، وأن يكون لكل من الدولتين وزير فى الوزارة المصرية مما كان له أثره فى نمو الحركة القومية ، وارتفاع صوت المصريين بالإصلاح، وأن تكون مصر

للمصريين لا للأتراك ولا للأوروبيين وساعد على ذلك ظهور الصحف الوطنية ، ولم تلبث الظروف أن أطاحت باسماعيل عن عرشه فخلفه ابنه توفيق الذى ازدادت الأمور فى عهده سوءا، فانفجرت الثورة العربية التى كانت صدى لأمانى المصريين وتطلعاتهم، إلا أن مثل هذه الحركة لم تكن لترضى عنها الدولة الاستعمارية لذلك سعت لإحباطها وانتهى الأمر بالاحتلال الانجليزى لمصر فى عام ١٨٨٢ ، ومنذ ذلك التاريخ لم يكف المصريون عن مقاومة الاحتلال، فقامت الزعامات المصرية وعلى رأسها مصطفى كامل ومحمد فريد بالدعوة إلى الجلاء وخروج المحتلين ، وعندما قامت الحرب العالمية الأولى أعلنت انجلترا حمايتها على مصر وقامت بعزل الخديوى عباس الثانى ولما انتهت الحرب، وأعلنت مبادئ الرئيس الأمريكى ولسن الأربعة عشر والتى تتضمن حق تقرير مصير الشعوب توقع المصريون خيرا وطالبوا بالاستقلال ، ولما يسوا من الاستجابة لمطلبهم قامت ثورة ١٩١٩ التى أظهرت إصرار المصريين على حقهم فى الحرية والاستقلال ، وأبرزت الوحدة بين عنصرى الأمة فى جبهة كفاح واحدة، وانتهت باعلان استقلال البلاد المنقوص بمقتضى تصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢، ثم صدور دستور ١٩٢٣ وبداية الحياة البرلمانية فى مصر، وتشكيل وزارة الشعب برئاسة سعد زغلول وما أعقبها من وقوع مقتل السردار واستقالة سعد ووفاته فى عام ١٩٢٧ وإلغاء صدقى لدستور ١٩٢٣ وما تبعه من أحداث وخلال ذلك استمر حافظ ابراهيم منفعلا مع أحداث وطنه حتى آخر لحظة فى حياته.

وتبعا لذلك فقد تم تقسيم هذه الدراسة إلى أربعة فصول تناولت نشأة وتكوين حافظ وشعره السياسى والاجتماعى والفكاهى بالإضافة إلى المقدمة

والخاتمة وقد عنون الفصل الأول، حافظ ابراهيم بين النشأة والتكوين ،
وشمل حياة حافظ وتبرمه بكل قيود الحرية، واختلاط نفسه بنفس الشعب
المصرى وامتزاج روحه بروحه حتى عبر عن مطالبه بكل صدق
وموضوعية.

وعنون الفصل الثانى " شعر حافظ السياسى"، وتم فيه تناول قصائده
الوطنية التى كانت تتادى بالنهضة وتبعث على النخوة بكل ما تجيش به
نفسه من المعانى بعد أن أنتهت الثورة العربية بنكبة الاحتلال وتطلع
المصريون إلى الحرية والدستور.

وعنوان الفصل الثالث "حافظ ابراهيم شاعر مصر الاجتماعى" وفيه
تعرض حافظ لحياة مصر والمصريين بشكل مباشر، واقتمح خفاياهم،
والهب بين ثنايا شعره ظهورهم وكشف عيوبهم واستهجن أفعالهم بأسلوب
واضح جعل البعض يطلق عليه شاعر مصر الاجتماعى بلا منازع.

أما الفصل الرابع فقد كان بعنوان "الفكاهة فى شعر حافظ ابراهيم"،
وفيه برزت نواجره ودعاباته بشكل يجمع بين التكتيت والتبكييت ومن هذه
الفصول وهذه الدراسة يتبين لنا أن حافظ أوقف حياته على التغنى
بأحاسيس قومه وأفكارهم وآلامهم وآمالهم ، وأنه كان صادق الشعر فى
مصريته ، وفى كل ما كتبه من أشعار، وكل ما تأمله أن تكون قد أعطيناها
حقه، وأن يتعرف أبناء الجيل الجديد على تضحياته.

والله ولى التوفيق